

وألوانها إلا الذى خلقها .

ولما قرر أنه الخالق نبه على أنه الرازق بقوله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ أى : من كل زوج من النبات كريم ، أى : حسن المنظر .

وقال الشعبي : والناس - أيضاً - من نبات الأرض ، فمن دخل الجنة فهو كريم ، ومن دخل النار فهو لئيم .

وقوله : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ ﴾ أى : هذا الذى ذكره تعالى من خلق السموات ، والأرض وما بينهما ، صادر عن فعل الله وخلقته وتقديره ، وحده لا شريك له فى ذلك ؛ ولهذا قال : ﴿ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ أى : مما تعبدون وتدعون من الأصنام والأنداد ، ﴿ بَلِ الظَّالِمُونَ ﴾ يعنى : المشركين بالله العابدين معه غيره ، ﴿ فِي ضَلَالٍ ﴾ أى : جهل وعمى ، ﴿ مُبِينٍ ﴾ أى : واضح ظاهر لا خفاء به .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (١٢) .

اختلف السلف فى لقمان ، عليه السلام : هل كان نبياً ، أو عبداً صالحاً من غير نبوة ؟ على قولين ، الأكثرون على الثانى .

وقال سفيان الثورى ، عن الأشعث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً .

وقال قتادة ، عن عبد الله بن الزبير ، قلت لجابر بن عبد الله : ما انتهى إليكم من شأن لقمان ؟ قال : كان قصيراً أفتس من النبوة .

وقال يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن سعيد بن المسيب قال : كان لقمان من سودان مصر ، ذا مشافر ، أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة .

وقال الأوزاعى ، رحمه الله : حدثنى عبد الرحمن بن حرملة قال : جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله ، فقال له سعيد بن المسيب : لا تحزن من أجل أنك أسود ، فإنه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان : بلال ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب ، ولقمان الحكيم ، كان أسوداً نوبياً ذا مشافر (١) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبى ، عن أبى الأشهب (٢) ، عن خالد الربيعى قال : كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً ، فقال له مولاه : اذبح لنا هذه الشاة . فذبحها ، فقال : أخرج أطيب مضغتين فيها . فأخرج اللسان والقلب ، فمكث ما شاء الله ثم قال : اذبح لنا هذه الشاة . فذبحها ، فقال : أخرج أحب مضغتين فيها . فأخرج اللسان والقلب ، فقال له مولاه : أمرتك أن تخرج أطيب

(١) تفسير الطبرى (٤٣/٢١) .

(٢) فى ١ : « الأشعث » .

مضغتين فيها فأخرجتهما ، وأمرت أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما . فقال لقمان : إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا ، ولا أخبث منهما إذا خبثا (١) .

وقال شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد : كان لقمان عبداً صالحاً ، ولم يكن نبياً .

وقال الأعمش : قال مجاهد : كان لقمان عبداً أسود عظيم الشفتين ، مشقق القدمين .

وقال حكّام بن سلّم ، عن سعيد الزبيدي ، عن مجاهد : كان لقمان الحكيم عبداً حبشياً غليظ الشفتين ، مُصَفَّح القدمين ، قاضياً على بني إسرائيل .

وذكر غيره : أنه كان قاضياً على بني إسرائيل في زمن (٢) داود ، عليه السلام .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا الحكم ، حدثنا عمرو بن قيس قال : كان لقمان ، عليه السلام ، عبداً أسود غليظ الشفتين ، مُصَفَّح القدمين ، فاتاه رجل وهو في مجلس أناس يحدثهم ، فقال له : أأنت الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا ، قال : نعم . فقال : فما بلغ بك ما أرى ؟ قال : صدق الحديث ، والصمت عما لا يعنيني (٣) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا (٤) عبد الرحمن ابن يزيد (٥) عن جابر قال : إن الله رفع لقمان الحكيم بحكمته ، فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك ، فقال له : أأنت عبد بني فلان الذي كنت ترعى بالأمس ؟ قال : بلى . قال : فما بلغ بك ما أرى ؟ قال : قَدَّرُ الله ، وأداء الأمانة ، وصدق الحديث ، وتركى ما لا يعنيني .

فهذه الآثار منها ما هو مُصرَّح فيه بنفى كونه نبياً ، ومنها ما هو مشعر بذلك ؛ لأن كونه عبداً قد مَسَّ الرق ينافي كونه نبياً ؛ لأن الرسل كانت تبعث في أحساب قومها ؛ ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبياً ، وإنما ينقل كونه نبياً عن عكرمة - إن صح السند إليه ، فإنه رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم من حديث وكيع (٦) ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة فقال : كان لقمان نبياً . وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي ، وهو ضعيف ، والله (٧) أعلم .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرني عبد الله بن عياش القتباني ، عن عمر مولى غفرة قال : وقف رجل على لقمان الحكيم فقال : أنت لقمان ، أنت عبد بني الحسحاس ؟ قال : نعم . قال : أنت راعي الغنم ؟ قال : نعم . قال : أنت الأسود ؟ قال : أما سوادى فظاهر ، فما الذي يعجبك من أمرى ؟ قال : وطاء الناس بساطك ، وغشيتهم بابك ، ورضاهم بقولك . قال : يا ابن أخي (٨) ، إن صغيت (٩) إلى ما أقول لك كنت كذلك . قال لقمان : غضى بصرى ، وكفى لسانى ، وعفة طعمتى ، وحفظى فرجى ، وقولى بصدق ، ووفائى بعهدى ، وتكرمتى ضيفى ، وحفظى جارى ، وتركى ما لا يعنيني ، فذاك الذى صيرنى إلى ما (١٠) ترى .

(١) تفسير الطبرى (٤٣/٢١) .

(٢) فى أ : « زمان » .

(٣) تفسير الطبرى (٤٤/٢١) .

(٤) فى أ : « بن » .

(٥) فى ت : « وروى ابن أبى حاتم بسنده » .

(٦) فى ت : « فإله » .

(٧) فى ت : « عن وكيع » .

(٨) فى ت ، ف ، أ : « كما » .

(٩) فى ف ، أ : « إن صنعت » .

(١٠) فى ف ، أ : « أبى » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن نُفَيْل ، حدثنا عمرو بن واقد ، عن عَبْدِ بن رَبَّاح ، عن ربيعة ، عن (١) أبي الدرداء ، رضى الله عنه ، أنه قال يوماً - وذكرَ لقمان الحكيم - فقال : ما أوتى ما أوتى عن أهل ولا مال ، ولا حسب ولا خصال ، ولكنه كان رجلاً صَمَّامَةً سَكِيْتًا ، طويل التفكير ، عميق النظر ، لم ينم نهاراً قط ، ولم يره أحد قط ييزق ولا يتنخَّع ، ولا يبول ولا يتغوط ، ولا يغتسل ، ولا يعبث ولا يضحك ، وكان لا يعيد منطقاً نطقه إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه أحد ، وكان قد تزوج وولد له أولاد ، فماتوا فلم يبك عليهم . وكان يغشى السلطان ، ويأتى الحكام ، لينظر ويتفكر ويعتبر (٢) ، فبذلك أوتى ما أوتى .

وقد ورد أثر غريب عن قتادة ، رواه ابن أبي حاتم ، فقال :

حدثنا أبي ، حدثنا العباس بن الوليد ، حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي ، حدثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة قال : خيَّرَ الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة ، فاختار الحكمة على النبوة . قال : فاتاه جبريل وهو نائم فذَرَّ عليه الحكمة - أو : رش عليه الحكمة - قال : فأصبح ينطق بها . قال سعيد : فسمعت عن قتادة يقول : قيل للقمان : كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيَّرَكَ ربك ؟ فقال : إنه لو أرسل إليَّ بالنبوة عَزَمَةٌ لرجوت فيه الفوز منه ، ولكنك أرجو أن أقوم بها ، ولكنه خيَّرني فخفت أن أضعف عن النبوة ، فكانت الحكمة أحب إليَّ .

فهذا من رواية سعيد بن بشير ، وفيه ضعف قد تكلموا فيه بسببه ، فالله أعلم .

والذى رواه سعيد بن أبي عَرُوبَةَ ، عن قتادة ، فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ أى : الفقه فى الإسلام ، ولم يكن نبياً ، ولم يوح إليه .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ أى : الفهم والعلم والتعبير ، ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ أى : أمرناه أن يشكر الله ، عز وجل ، على ما آتاه الله ومنحه ووهبه من الفضل ، الذى خصه (٣) به عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه .

ثم قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ أى : إنما يعود نفع ذلك وثوابه على الشاكرين (٤) لقوله (٥) تعالى : ﴿ وَمَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ [الروم : ٤٤] .

وقوله : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ أى : غنى عن العباد ، لا يتضرر بذلك ، ولو كفر أهل الأرض كلهم جميعاً ، فإنه الغنى عما سواه ؛ فلا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه .

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا

(٣) فى أ : « خصصه »

(٢) فى ت : « ويعتب » .

(١) فى ت : « وروى ابن أبي حاتم بسنده إلى » .

(٥) فى ف : « كقول » .

(٤) فى ت ، ف : « الشاكر » .

فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى مخبراً عن وصية لقمان لولده - وهو : لقمان بن عنقاء بن سدون . واسم ابنه : ثاران في قول حكاه السهيلي . وقد ذكره [الله] (١) تعالى بأحسن الذكر ، فإنه آتاه الحكمة ، وهو يوصى ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه ، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ؛ ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً ، ثم قال محذراً له : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ أى : هو أعظم الظلم .

قال البخارى حدثنا قتيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة (٢) ، عن عبد الله ، رضى الله عنه ، قال : لما نزلت : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٢] ، شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، وقالوا : أينما لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إنه ليس بذاك ، ألا (٣) تسمع إلى قول لقمان : ﴿ يَا بَنِيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ » . ورواه مسلم من حديث الأعمش ، به (٤) .

ثم قرآن بوصيته إياه بعبادة الله وحده البر بالوالدين . كما قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء : ٢٣] . وكثيراً ما يقرب تعالى بين ذلك في القرآن وقال ههنا : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ . قال مجاهد : مشقة وهن الولد . وقال قتادة : جهداً على جهد .

وقال عطاء الخراساني : ضعفا على ضعف . وقوله : ﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ أى : تربيته وإرضاعه بعد وضعه فى عامين ، كما قال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] . ومن ههنا استنبط ابن عباس وغيره من الأئمة أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ؛ لأنه قال تعالى فى الآية الأخرى : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

وإنما يذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها فى سهرها ليلاً ونهاراً ، ليذكر الولد بإحسانها المتقدم إليه ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء : ٢٤] ؛ ولهذا قال : ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ أى : فإنى سأجزيك (٥) على ذلك أوفر الجزاء .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد الله بن أبى شيبة ، ومحمود بن غيلان قالا : حدثنا عبيد الله ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق (٦) ، عن سعيد بن وهب قال : قدم علينا معاذ ابن جبل ، وكان بعثه النبى ﷺ ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إني [رسول] (٧) رسول الله ﷺ إليكم : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تطيعونى لا آلوكم خيراً ، وأن المصير إلى

(٣) فى أ : « ألم » .

(٢) فى ت : « روى البخارى بسنده » .

(١) زيادة من ت .

(٤) صحيح البخارى برقم (٤٧٧٦) وصحيح مسلم برقم (١٢٤) .

(٥) فى أ : « سأجزيك » .

(٧) زيادة من ت ، أ .

(٦) فى ت : « روى ابن أبى حاتم بسنده » .

اللَّهِ ، وإلى الجنة أو إلى النار ، إقامة فلا ظعن ، وخلود فلا موت .

وقوله : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ أى : إن حرصاً عليك كل الحرص على أن تتابعهما (١) على دينهما ، فلا تقبل منهما ذلك ، ولا يمنعنك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفاً ، أى : محسناً إليهما ، ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ يعنى : المؤمنين ، ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

قال الطبراني في كتاب العشرة : حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أحمد بن أيوب بن راشد ، حدثنا مسلمة بن علقمة ، عن داود بن أبي هند [عن أبي عثمان النهدي] (٢) : أن سعد بن مالك قال : أنزلت في هذه الآية : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ الآية ، وقال : كنت رجلاً برأ بأبى ، فلما أسلمت قالت : يا سعد ، ما هذا الذى أراك قد أحدثت ؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت ، فتعير بي ، فيقال : «ياقاتل أمه» . فقلت : لا تفعل يا أمه ، فإنى لا أدع دينى هذا لشيء . فمكثت يوماً وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت ، فمكثت يوماً [آخر] (٣) وليلة أخرى لا تأكل ، فأصبحت قد اشتد جهدها ، فلما رأيت ذلك قلت : يا أمه ، تعلمين والله لو كانت لكى مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ، ما تركت دينى هذا لشيء ، فإن شئت فكلى ، وإن شئت لا تأكلى . فأكلت (٤) .

﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩) ﴾ .

هذه وصايا نافعة قد حكاها الله تعالى عن لقمان الحكيم ؛ ليمثلها الناس ويقتدوا بها ، فقال : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ﴾ أى : إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة [من] (٥) خردل . وجوز بعضهم أن يكون الضمير فى قوله : ﴿ إِنَّهَا ﴾ ضمير الشأن والقصة . وجوز على هذا رفع ﴿ مِثْقَالٍ ﴾ والأول أولى .

وقوله : ﴿ يَا بُنَيَّ بِهَا اللَّهُ ﴾ أى : أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط ، وجازى عليها إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . كما قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] ، وقال تعالى :

(١) فى أ : « تتابعهما » . (٢) زيادة من أسد الغابة ، والدر المنثور . (٣) زيادة من ت ، ف .

(٤) وذكره ابن الأثير فى أسد الغابة (٢/٢١٦) عن داود بن أبي هند .

(٥) زيادة من ت ، أ .

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة : ٧ ، ٨] ، ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صماء ، أو غائبة ذاهبة في أرجاء السموات أو الأرض (١) ، فإن الله يأتي بها ؛ لأنه لا تخفى عليه خافية ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ؛ ولهذا قال : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ أى : لطيف العلم ، فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت ، ﴿خَبِيرٌ﴾ بديب النمل فى الليل البهيم .

وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله : ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ : أنها صخرة تحت الأرضين (٢) السبع ، ذكره السددي بإسناده ذلك المطروق عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة من الصحابة إن صح ذلك ، ويروى هذا عن عطية العوفى ، وأبى مالك ، والثورى ، والمنهال بن عمرو ، وغيرهم . وهذا والله أعلم ، كأنه متلقى من الإسرائيليات التى لا تصدق ولا تكذب ، والظاهر - والله أعلم - أن المراد : أن هذه الحبة فى حقارتها لو كانت داخل صخرة ، فإن الله سيبيدها ويظهرها بلطيف علمه ، كما قال (٣) الإمام أحمد :

حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد الخدرى ، رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ، ليس لها باب ولا كوة ، لخرج عمله للناس كائناً ما كان » (٤) .

ثم قال : ﴿يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أى : بحدودها وفروضها وأوقاتها ، ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أى : بحسب طاقتك وجهدك ، ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ ، علم أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لا بد أن يناله من الناس أذى ، فأمره بالصبر .

وقوله : ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أى : إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور .

وقوله : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ يقول : لا تُعرضُ بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك ، احتقاراً منك لهم ، واستكباراً عليهم ولكن ألن جانبك ، وابسط وجهك إليهم ، كما جاء فى الحديث : « ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط ، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة ، والمخيلة لا يحبها الله » .

قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ يقول : لا تتكبر فتحقر (٥) عباد الله ، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك . وكذا روى العوفى وعكرمة عنه .

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ : لا تكلم وأنت معرض . وكذا روى عن مجاهد ، وعكرمة ، ويزيد بن الأصم ، وأبى الجوزاء ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وابن يزيد ، وغيرهم .

وقال إبراهيم النخعي : يعنى بذلك : التشديق فى الكلام .

(١) فى ف : « والأرض » . (٢) فى ف ، أ : « الأرض » . (٣) فى ت : « كما روى » .

(٤) المسند (٢٨/٣) ، وحسنه الهيثمى فى المجمع (٢٢٥/١٠) وفيه ابن لهيعة عن دراج وهما ضعيفان .

(٥) فى ت ، أ : « فتحقر » .

والصواب القول الأول .

قال ابن جرير : وأصل الصَّعْر: داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها ، حتى تُلْفَتَ (١) أعناقها عن رؤوسها ، فشبه به الرجل المتكبر ، ومنه قول عمرو بن حُنِي التَّغْلَبِي :

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أَقْمَنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّمَا (٢)

وقال أبو طالب في شعره :

وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نَقْرُ ظِلَامَةً إِذْ مَا ثَنَوْنَا صُعْرَ الرَّؤُوسِ نُقِيمَهَا (٣)

وقوله : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ أي : جذلا متكبرا جبارا عنيدا ، لا تفعل ذلك يبغضك الله ؛ ولهذا قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ أي : مختال معجب في نفسه ، فخور : أي على غيره ، وقال تعالى (٤) : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٧] ، وقد تقدم الكلام على ذلك في موضعه .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ، حدثنا محمد بن عمران ابن أبي ليلى ، حدثنا أبي ، عن ابن أبي ليلى ، عن عيسى ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى (٥) ، عن ثابت بن قيس بن شماس قال : ذكر الكبر عند رسول الله ﷺ فشدده فيه ، فقال : « إن الله لا يحب كل مختال فخور » . فقال رجل من القوم : والله يا رسول الله إنني لأغسل ثيابي فيعجبني بياضها ، ويعجبني شراك نعلى ، وعلاقة سوطي ، فقال : « ليس ذلك الكبر ، إنما الكبر أن تسفه الحق وتغتمط (٦) الناس » (٧) .

ورواه من طريق أخرى بمثله ، وفيه قصة طويلة ، ومقتل ثابت ووصيته بعد موته (٨) .

وقوله : ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ أي : امش مشيا مقتصدا ليس بالبطيء المتشط ، ولا بالسرير المفرط ، بل عدلا وسطا بين بين .

وقوله : ﴿ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ أي : لا تبألغ في الكلام ، ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ ، قال مجاهد وغير واحد : إن أقبح الأصوات لصوت الحمير ، أي : غاية من رفع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه ورفعه ، ومع هذا هو بغض إلى الله تعالى . وهذا التشبيه في هذا بالحمير يقتضى تحريمه وذمه غاية الذم ؛ لأن رسول الله ﷺ قال : « ليس لنا مثل السوء ، العائد في هبته كالكلب يقىء ثم يعود في قيئه » .

وقال النسائي عند تفسير هذه الآية : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا الليث ، عن جعفر بن ربيعة ، عن الأعرج (٩) ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ [أنه] (١٠) قال : « إذا سمعتم صياح الديكة

(١) في ت : « تلتفت » ، وفي أ : « بلغت » .

(٢) البيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٢٧/٢) .

(٣) البيت في السيرة النبوية لابن هشام (٢٦٩/١) .

(٤) في أ : « وقد قال الله تعالى » . (٥) في ت : « وروى الطبراني بإسناده » . (٦) في ت ، ف : « تغمص » .

(٧) المعجم الكبير (٦٩/٢) وفيه انقطاع بين ابن أبي ليلى وثابت .

(٨) المعجم الكبير (٧٠/٢) من طريق عبد الرحمن بن يزيد ، عن عطاء ، عن بنت ثابت بقصة أبيها ، وقال الهيثمي في المجمع (٣٢٢/٩) :

«وبنت ثابت بن قيس لم أعرفها ، وبقي رجاله رجال الصحيح» .

(٩) في ت : « وروى النسائي عند تفسير هذه الآية بإسناده » .

(١٠) زيادة من أ .

فاسألوا الله من فضله، وإذا سمعتم نهيي الحمير (١) فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطاناً .
وقد أخرجه بقية الجماعة سوى ابن ماجه ، من طرق ، عن جعفر بن ربيعة به (٢) ، وفي بعض
الألفاظ : « بالليل » ، فالله أعلم .

فهذه وصايا نافعة جداً ، وهى من قصص القرآن العظيم عن لقمان الحكيم . وقد روى عنه من
الحكم والمواعظ أشياء كثيرة ، فلنذكر منها أئموذجاً ودستوراً إلى ذلك .

قال الإمام أحمد : حدثنا ابن إسحاق ، أخبرنا ابن المبارك ، أخبرنا سفيان ، أخبرنى نَهْشَل بن
مُجَمِّع الضبى عن قزعة ، عن ابن عمر (٣) ، رضى الله عنه (٤) ، قال : أخبرنا رسول الله ﷺ قال :
« إن لقمان الحكيم كان يقول : إن الله إذا استودع شيئاً حفظه » (٥) .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن الأوزاعى ، عن
موسى بن سليمان ، عن القاسم [بن مُخَيَّمَةَ يحدث عن أبى موسى الأشعري] (٦) أن رسول الله ﷺ
قال : « قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بنى ، إياك والتقنع فإنه مخوفة بالليل ، مذلة بالنهار » (٧) .

وقال : حدثنا أبى ، حدثنا عمرو بن عثمان ، عن ضَمْرَةَ ، حدثنا السرى بن يحيى (٨) قال : قال
لقمان لابنه : يا بنى ، إن الحكمة أجلس المساكين مجالس الملوك .

وقال : حدثنا أبى ، حدثنا عبدة بن سليمان ، أخبرنا ابن المبارك ، حدثنا عبد الرحمن
المسعودى (٩) ، عن عَوْن بن عبد الله قال : قال لقمان لابنه : يا بنى ، إذا أتيت نادى قوم فارمهم
بسهم الإسلام - يعنى السلام - ثم اجلس فى ناحيتهم ، فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا ، فإن أفاضوا
فى ذكر الله فأجل سهمك معهم ، وإن أفاضوا فى غير ذلك فتحول عنهم إلى غيرهم .

وحدثنا أبى ، حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار ، حدثنا ضمرة (١٠) ، عن
حفص ابن عمر ، رضى الله عنه ، قال : وضع لقمان جراباً من خردل إلى جانبه ، وجعل يعظ ابنه
وعظة ويخرج خردلة ، حتى نقذ الخردل ، فقال : يا بنى ، لقد وعظتك موعظة لو وعظها جبل
لتفطر . قال : فتفطر ابنه .

وقال أبو القاسم الطبرانى : حدثنا يحيى بن عبد الباقي المصيصى ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن
الحرانى ، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الطرائفى ، حدثنا آيين (١١) بن سفيان المقدسى ، عن خليفة
ابن سلام ، عن عطاء بن أبى رباح (١٢) ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « اتخذوا

(١) فى ت : « الحمار » .

(٢) النسائى فى السنن الكبرى (١١٣٩١) وصحيح البخارى برقم (٣٣٠١) ، وصحيح مسلم برقم (٢٧٧٩) وسنن أبى داود برقم (٥١٠٢)

وسنن الترمذى برقم (٣٤٥٩) .

(٣) فى ت : « فروى الإمام أحمد بإسناده » .

(٤) فى ت ، ف : « عنهما » .

(٥) المسند (٨٧/٢) .

(٦) زيادة من أ ، و المستدرک .

(٧) ورواه الحاكم فى المستدرک (٤١١/٢) وقال : « هذا متن شاهده إسناده صحيح » وأقره الذهبى .

(٨) فى ت : « وروى أيضا بإسناده عن السرى بن يحيى » . (٩) فى ت : « وروى ابن أبى حاتم بإسناده عن القاسم بن مخيمرة » .

(١٠) فى ت : « وروى أيضا » . (١١) فى ت ، أ ، ف ، هـ : « أس » ، والتصويب من المعجم الكبير وكتب الرجال .

(١٢) فى ت : « وروى الطبرانى بسنده » .

السودان فإن ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة : لقمان الحكيم ، والنجاشي ، وبلال المؤذن « (١) .
قال أبو القاسم الطبراني : أراد الحبش .

فصل في الخمول والتواضع

وذلك متعلق بوصية لقمان ، عليه السلام ، لابنه ، وقد جمع في ذلك الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا كتاباً مفرداً [و] (٢) نحن ، نذكر منه مقاصده ، قال : حدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثنا عبد الله ابن موسى المدني ، عن أسامة بن زيد ، عن حفص بن عبيد الله بن أنس بن مالك : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «رُبَّ أشعثَ ذى طمرين يُصَفِّحَ عن أبواب الناس ، إذا (٣) أقسم على الله لأبره» (٤) .
ثم رواه من حديث جعفر بن سليمان ، عن ثابت وعلى بن زيد ، عن أنس ، عن النبي ﷺ ، فذكره ، وزاد ، منهم البراء بن مالك (٥) .

[وروى أيضاً عن أنس ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « طوبى للأتقياء الأثرياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا ، وإذا غابوا لم يفتقدوا ، أولئك مصابيح مجردون من كل فتنة غبراء مشينة »] (٦) .

وقال أبو بكر بن سهل التميمي : حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا نافع بن يزيد ، عن عياش بن عباس ، عن عيسى بن عبد الرحمن ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر ، رضى الله عنه ، أنه دخل المسجد فإذا هو بمعاذ بن جبل يكيى عند قبر رسول الله ﷺ ، فقال له : ما يبكيك يا معاذ ؟ قال : حديث سمعته من رسول الله ﷺ ، سمعته يقول : « إن اليسير من الرياء شرك ، وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الأثرياء ، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، ينجون من كل غبراء مظلمة » (٧) .

حدثنا الوليد بن شجاع ، حدثنا عثمان بن على ، عن حميد بن عطاء الأعرج ، عن عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « رُبَّ ذى طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره ، لو قال : اللهم إني أسألك الجنة لأعطاء الجنة ، ولم يعطه من الدنيا شيئاً » (٨) .

وقال أيضاً : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أمتى من لو أتى باب أحدكم يسأله ديناراً أو درهماً أو

(١) المعجم الكبير (١١/١٩٨) ، وقال الهيثمى فى المجمع (٤/٢٣٥) : « فيه آيين بن سفيان وهو ضعيف »

(٢) زيادة من ت ، ف .

(٣) فى ت ، ف : « لو » .

(٤) ورواه الطبراني فى المعجم الأوسط برقم (٥٠٥٤) « مجمع البحرين » قال : « حدثنا أحمد بن يحيى الحلوانى ، حدثنا إبراهيم بن المنذر ، فذكر مثله - ثم قال - : لم يروه عن حفص إلا أسامة » ، وله شاهد فى صحيح مسلم برقم (٢٦٢٢) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

تنبه : سقط هذا الحديث من مخطوطة التواضع والخمول لابن أبى الدنيا ، وكذا الرواية بعده .

(٥) ورواه الترمذى فى السنن برقم (٣٨٥٤) من طريق سيار عن جعفر بن سليمان به ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح من هذا الوجه » (٦) زيادة من ت ، أ .

(٧) التواضع والخمول لابن أبى الدنيا برقم (٨) .

(٨) سقط الحديث من مخطوطة التواضع والخمول ، ورواه الديلمى فى مسند الفردوس برقم (٣٢٤٦) من طريق ابن أبى الدنيا .

فلسأ لم يعطه ، ولو سأل الله الجنة لأعطاه إياها ، ولو سأله (١) الدنيا لم يعطه إياها ، ولم يمنعها إياه لهوانه عليه ، ذو طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره « (٢) .
وهذا مرسل من هذا الوجه .

وقال أيضا : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا جعفر بن سليمان ، حدثنا عوف قال : قال أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من ملوك الجنة كل (٣) أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له ، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم ، وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا ، وإذا قالوا لم ينصت لهم ، حوائج أحدهم تتجلجل فى صدره ، لو قسم نوره يوم القيامة بين الناس لوسعهم » (٤) .

قال : وأشدنى عمر بن شبة ، عن ابن عائشة قال : قال عبد الله بن المبارك :

ألا ربّ ذى طمرين فى منزل غداً زرابيه مبثوثة ونمارقه
قد اطردت أنهاره حول قصره وأشرق والتفت عليه حدائقه (٥)

وروى - أيضا - من حديث عبيد الله بن زحر ، عن على بن زيد ، عن القاسم ، عن أبى أمامة مرفوعا : « قال الله : من أغبط أوليائى عندى : مؤمن خفيف الحاذ ، ذو حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه ، وأطاعه فى السر ، وكان غامضا فى الناس ، لا يشار إليه بالأصابع . إن صبر على ذلك » . قال : ثم نقد رسول الله بيده وقال : « عجّلت منيته ، وقل تراثه ، وقلت بواكيه » (٦) .

وعن عبد الله بن عمرو قال : أحب عباد الله (٧) إلى الله الغرباء . قيل : ومن الغرباء ؟ قال : الفرارون بدينهم ، يجمعون يوم القيامة إلى عيسى ابن مريم (٨) .

وقال الفضيل بن عياض : بلغنى أن الله تعالى (٩) يقول للبعد يوم القيامة : ألم أنعم عليك ؟ ألم أعطك ؟ ألم أسترك ؟ ألم . . . ؟ ألم . . . ؟ ألم أحمل ذكرك ؟ ثم قال الفضيل : إن استطعت ألا تُعرف فافعل ، وما عليك ألا يُثنى عليك ، وما عليك أن تكون مذموما عند الناس محموداً عند الله . وكان ابن محيريز يقول : اللهم إنى أسألك ذكرا حاملا .

وكان الخليل بن أحمد يقول : اللهم اجعلنى عندك من أرفع خلقك ، واجعلنى فى نفسى من أوضع خلقك ، وعند الناس من أوسط خلقك .

ثم قال (١٠) :

باب ما جاء فى الشهرة

حدثنا أحمد بن عيسى المصرى ، حدثنا ابن وهب ، عن عمر بن الحارث وابن لهيعة ، عن يزيد ابن أبى حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « حسب امرئ من

(١) فى ت : « ولو سأل الله » .

(٢) التواضع والخمول لابن أبى الدنيا برقم (١) ، وهو مرسل .

(٣) فى ت ، ف ، أ : « من هو » .

(٤) ورواه ابن أبى الدنيا فى الأولياء برقم (٩) عن الحسن مرسلأ بنحوه ، وقد سقط هذا الحديث من مخطوطة التواضع والخمول .

(٥) التواضع والخمول لابن أبى الدنيا برقم (٥) .

(٦) التواضع والخمول برقم (١٣) وقد قال ابن حبان : « إذا روى عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم فهو مما عملته أيديهم » .

(٧) فى أ : « أحب العباد » .

(٨) التواضع والخمول برقم (١٦) .

(٩) أى ابن أبى الدنيا .

(١٠) فى ت ، أ : « عز وجل » .

الشر - إلا من عصم الله - أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه ، وإن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم « (١) .

وروى مثله عن إسحاق بن البهلول ، عن ابن أبي فديك ، عن محمد بن عبد الواحد الأحنسي ، عن عبد الواحد بن أبي كثير ، عن جابر بن عبد الله مرفوعاً ، مثله (٢) .

وروى عن الحسن مرسلاً نحوه (٣) ، فقيل للحسن : فإنه يشار إليك بالأصابع ؟ فقال : إنما المراد من يشار إليه في دينه بالبدعة وفي دنياه بالفسق (٤) .

وعن علي ، رضى الله عنه ، قال : لا تبدأ لأن تشتهر ، ولا ترفع شخصك لتذكر ، وتعلم واكتم ، واصمت تسلم ، تسر الأبرار ، وتغيظ الفجار .

وقال إبراهيم بن أدهم ، رحمه الله : ما صدق الله من أحب الشهرة .

وقال أيوب : ما صدق الله عبده إلا سره ألا يشعر بمكانه .

وقال محمد بن العلاء : من أحب الله أحب ألا يعرفه الناس .

وقال سمك بن سلمة : إياك وكثرة الأخلاء .

وقال أبان بن عثمان : إن أحببت أن يسلم لك دينك فأقل من المعارف ؛ كان أبو العالية إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة نهض وتركهم .

وقال : حدثنا علي بن الجعد ، أخبرنا شعبة ، عن عوف ، عن أبي رجاء قال : رأى طلحة قوما يمشون معه ، فقال : ذباب طمع ، وفراش النار .

وقال ابن إدريس ، عن هارون بن عنترة (٥) ، عن سليم بن حنظلة قال : بينا نحن حول أبي إذ علاه عمر بن الخطاب بالدرة وقال : إنها مذلة للتابع ، وفتنة للمتبوع .

وقال ابن عون ، عن الحسن : خرج ابن مسعود فاتبعه أناس ، فقال : والله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ، ما اتبعني منكم رجلان .

وقال حماد بن زيد : كنا إذا مررنا على المجلس ، ومعنا أيوب ، فسلم ، ردوا رداً شديداً ، فكان ذلك يغمه .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر : كان أيوب يطيل قميصه ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن الشهرة فيما مضى كانت في طول القميص ، واليوم في تشميره . واصطنع مرة نعلين على حذو نعلي النبي ﷺ ، فلبسهما أياماً ثم خلعهما ، وقال : لم أر الناس يلبسونهما .

وقال إبراهيم النخعي : لا تلبس من الثياب ما يُشهر في الفقهاء ، ولا ما يزدريك السفهاء .

وقال الثوري : كانوا يكرهون من الثياب الجياد ، التي يُشتهر بها ، ويرفع الناس إليه فيها أبصارهم . والثياب الرديئة التي يحتقر فيها ، ويستذل دينه .

(١) التواضع والخمول برقم (٣٠) وفيه سنن بن سعد ضعيف .

(٢) التواضع والخمول برقم (٣١) وقال العراقي : « ليس معروفاً من حديث جابر إنما هو معروف من حديث أبي هريرة » .

(٣) التواضع والخمول برقم (٣٢) .

(٤) التواضع والخمول برقم (٣٣) .

(٥) في أ : « هارون بن أبي عشيرة » .

وحدثنا خالد بن خدّاش : حدثنا حماد ، عن أبي حسنة - صاحب الزيادة - قال : كنا عند أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية ، فقال : إياكم وهذا الحمار النهاق .
وقال الحسن ، رحمه الله : إن قوما جعلوا الكبر في قلوبهم ، والتواضع في ثيابهم ، فصاحب الكساء بكسائه أعظم من صاحب المطرف بمطرفه ^(١) ، مالهم تفاقدوا .
وفى بعض الأخبار أن موسى ، عليه السلام ، قال لبنى إسرائيل : ما لكم تأتونى عليكم ثياب الرهبان ، وقلوبكم قلوب الذئاب ، البسوا ثياب الملوك ، وألینوا قلوبكم بالخشية .

فصل فى حسن الخلق

قال أبو التياح ، عن أنس ، رضى الله عنه : كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا ^(٢) .
وعن عطاء ، عن ابن عمر : قيل : يا رسول الله ، أى المؤمنين أفضل ؟ قال : « أحسنهم خلقا » ^(٣) .
وعن نوح بن عباد ، عن ثابت ، عن أنس مرفوعا : « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجات الآخرة وشرف المنازل ، وإنه لضعيف العبادة . وإنه ليبلغ بسوء خلقه درك جهنم وهو عابد » ^(٤) . وعن سنّان بن هارون ، عن حميد ، عن أنس مرفوعا : « ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة » ^(٥) ، وعن عائشة مرفوعا : « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار » ^(٦) .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنى أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، أخبرنى أبى وعمى ، عن جدى ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه : سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ، فقال : « تقوى الله وحسن الخلق » . وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ، فقال : « الأجوفان : الفم والفرج » ^(٧) .

وقال أسامة بن شريك : كنت عند رسول الله ﷺ ، فجاءته الأعراب من كل مكان ، فقالوا : يا رسول الله ، ما خير ما أعطى الإنسان ؟ قال : « حسن الخلق » ^(٨) .
وقال يعلى بن مملك ^(٩) ، عن أم الدرداء ، عن أبى الدرداء - يبلغ به - قال : « ما [من] ^(١٠) شئ أثقل فى الميزان من حسن الخلق » ^(١١) ، وكذا رواه عطاء ، عن أم الدرداء ، به ^(١٢) .
وعن مسروق ، عن عبد الله بن عمرو مرفوعا : « إن من خياركم أحاسنكم أخلاقا » ^(١٣) .
حدثنا عبد الله بن أبى بدر ، حدثنا محمد بن عبيد ^(١٤) ، عن محمد بن أبى سارة ، عن الحسن

(١) فى ت ، أ : « المطرق بمطرفه » .

(٢) التواضع والخمول برقم (١٦٣) .

(٣) التواضع والخمول برقم (١٦٤) .

(٤) التواضع والخمول برقم (١٦٨) .

(٥) التواضع والخمول برقم (١٦٩) .

(٦) التواضع والخمول برقم (١٦٦) .

(٧) التواضع والخمول برقم (١٧٠) .

(٨) التواضع والخمول برقم (١٧١) .

(٩) فى ت ، أ ، ف ، هـ : « سماك » والصواب ما أثبتناه من كتب الرجال .

(١١) التواضع والخمول برقم (١٧٢) .

(١٢) التواضع والخمول برقم (١٧٣) .

(١٣) التواضع والخمول برقم (١٧٤) .

(١٤) فى ت ، ف : « عين » ، وفى أ : « عيسى » والصواب ما أثبتناه من التواضع والخمول لابن أبى الدنيا ، وكتب الرجال .

(١٠) زيادة من أ .

ابن علي قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق ، كما يعطي المجاهد في سبيل الله ، يغدو عليه الأجر ويروح » (١) .

وعن مكحول، عن أبي ثعلبة مرفوعاً: «إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً، أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني منزلاً في الجنة مساويكم أخلاقاً، الثرثارون المتشدقون المتفيهقون » (٢) .

وعن أبي أويس ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر مرفوعاً : « ألا أخبركم بأكملكم إيماناً ، أحاسنكم أخلاقاً ، الموطئون أكنافاً ، الذين يؤلفون ويألفون » (٣) .

وقال الليث ، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة ، عن بكر بن أبي الفرات قال : قال رسول الله ﷺ : « ما حسن الله خلق رجلٍ وخلقه فتطعمه النار » (٤) .

وعن عبد الله بن غالب الحدّاني ، عن أبي سعيد مرفوعاً : « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن : البخل ، وسوء الخلق » (٥) ، وقال ميمون بن مهران ، عن رسول الله ﷺ : « ما من ذنب أعظم عند الله من سوء الخلق ؛ وذلك أن صاحبه لا يخرج من ذنب إلا وقع في آخر » (٦) .

حدثنا علي بن الجعد ، حدثنا أبو المغيرة الأحمسي ، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن رجل من قريش قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من ذنب أعظم عند الله من سوء الخلق ؛ إن الخلق الحسن ليذيب الذنوب كما تذيب الشمس الحديد ، وإن الخلق السيء ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل » (٧) .

وقال عبد الله بن إدريس ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي هريرة مرفوعاً : « إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ، ولكن يسعهم منكم بسط وجوه وحسن خلق » (٨) .

وقال محمد بن سيرين : حسن الخلق عون على الدين .

فصل في ذم الكبر

قال علقمة ، عن ابن مسعود - رفعه - : « لا يدخل الجنة من في قلبه (٩) مثقال حبة من كبر ، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال حبة (١٠) من إيمان » (١١) .

وقال إبراهيم بن أبي عبلة ، عن أبي سلمة ، عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً : « من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، أكبه الله على وجهه في النار » (١٢) .

حدثنا إسحاق بن إسماعيل ، حدثنا أبو معاوية ، عن عمر بن راشد ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه مرفوعاً : « لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب عند الله من الجبارين ، فيصيبه ما أصابهم من العذاب » (١٣) .

وقال مالك بن دينار : ركب سليمان بن داود ، عليهما (١٤) السلام ، ذات يوم البساط في مائتي

(١) التواضع والخمول برقم (١٧٦) .

(٢) التواضع والخمول برقم (١٧٧) .

(٣) التواضع والخمول برقم (١٧٨) .

(٤) التواضع والخمول برقم (١٨٠) .

(٥) التواضع والخمول برقم (١٨٢) .

(٦) التواضع والخمول برقم (١٨٣) .

(٧) التواضع والخمول برقم (١٨٤) .

(٨) التواضع والخمول برقم (١٩٠) .

(٩) في ت ، ف ، أ : « ذرة » .

(١٠) في ت ، ف ، أ : « ذرة » .

(١١) التواضع والخمول برقم (١٩٢) .

(١٢) التواضع والخمول برقم (١٩٦) .

(١٣) التواضع والخمول برقم (١٩٨) .

(١٤) في ت : « عليه » .

(١٠) في ف ، أ : « ذرة » .

ألف من الإنس ، ومائتي ألف من الجن ، فَرُفِعَ حتى سمع تسبيح الملائكة في السماء ، ثم خفضوه حتى مست قدمه ماء البحر ، فسمعوا صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لحسف به أبعاد مما رفع .

حدثنا أبو خَيْثَمَةَ ، حدثنا يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال : كان أبو بكر يخطبنا فيذكر بدء خلق الإنسان ، حتى إن أحدنا ليقدر نفسه ، يقول : خرج من مجرى البول مرتين (١) .

وقال الشعبي : من قتل اثنين فهو جبار ، ثم تلا : ﴿ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ﴾ [القصص: ١٩] وقال الحسن : عجبنا لابن آدم ، يغسل الخرد بيده في اليوم مرتين ثم يتكبر ! يعارض جبار السموات ، قال : حدثنا خالد بن خدّاش ، حدثنا حماد بن زيد ، عن علي بن الحسن ، عن الضحّاك بن سفيان ، فذكر الحديث . ضرب مثل الدنيا بما يخرج من ابن آدم (٢) .
وقال الحسن ، عن يحيى ، عن أبي قال : إن مطعم ابن آدم ضرب مثل للدنيا وإن قَرَحَهُ ومَلَّحَهُ .
وقال محمد بن الحسين بن علي - من ولد علي رضي الله عنه - : ما دخل قلب رجل شيء من كبر إلا نقص من عقله بقدر ذلك .

وقال يونس بن عبيد : ليس مع السجود كبر ، ولا مع التوحيد نفاق .
ونظر طاوس إلى عمر بن عبد العزيز وهو يختال في مشيته ، وذلك قبل أن يستخلف ، فطعنه طاوس في جنبه بأصبعه ، وقال : ليس هذا شأن (٣) من في بطنه خرد ؟ . فقال له كالمعتز إليه : يا عم ، لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها .
قال أبو بكر بن أبي الدنيا : كانت بنو أمية يضربون أولادهم حتى يتعلموا (٤) هذه المشية .

فصل في الاختيال

عن أبي ليلى ، عن ابن بريدة ، عن أبيه مرفوعاً : « مَنْ جَرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه » (٥) .
ورواه عن إسحاق بن إسماعيل ، عن سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر مرفوعاً مثله (٦) .
وحدثنا محمد بن بكّار ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة مرفوعاً : « لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره » (٧) . و « بينما رجل يتبختر في برديه ، أعجبته نفسه ، خسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » (٨) .
وروى الزهري عن سالم ، عن أبيه : « بينما رجل . . . » إلى آخره (٩) .

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

(١) التواضع والخمول برقم (٢٠٠) .

(٢) التواضع والخمول برقم (٢١٠) .

(٣) في ف ، أ : « مشى » .

(٥) التواضع والخمول برقم (٢٣٨) .

(٦) التواضع والخمول برقم (٢٣٩) .

(٧) التواضع والخمول برقم (٢٣٢) .

(٨) التواضع والخمول برقم (٢٣٣) .

(٩) التواضع والخمول برقم (٢٣٤) .

(٤) في ف ، أ : « يعلمون » .